(( كفى بالله حسيباً ))

د. عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف :

<http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب :

<https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3_Hje4JaCw>

الأولى

وصلتني رسالة فاستوقفتني كثيراً ..

رسالةٌ صغيرة في مبناهاً ، عظيمة في معناها ومحتواها ..

رسالةٌ تقول : " محاسبة بشرية على حقوق مالية أرعبت قلوب، وزلزلت نفوس، وأوقفت رؤوس، فكيف بحساب الله؟ الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها "

حقاً إنها رسالة تأخذ بمجامع القلوب الحيّة .

محاسبة بشرية تقول من أين لك هذا ؟

وجلت منها النفوس ، وأرعدت منها الفرائص ،،

فكيف بيوم يقول الله فيه ﭽ ﰆﰇ ﰈ ﰉ ﭼ الصافات: ٢٤ قال ابن عباس {: احْبِسُوهُمْ إِنَّهُمْ مُحَاسَبُونَ. تفسير ابن كثير (7/7).

أليس من أسماء الله تعالى ( الحسيب ) ؟

قال العلماء: ومن معاني الحسيب أنه المحاسب .

قال ابن سعدي ~ : الحسيب هو المجازي لعباده بالخير والشر، بحسب حكمته وعلمه بدقيق أعمالهم وجليلها.

فالله هو الحسيب الذي يقول: ﭽ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﭼ الإسراء: ١٤

الحسيب الذي يقول: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ الأنعام: ٦٢

الحسيب الذي يقول: ﭽ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﭼ الغاشية: ٢٥ - ٢٦

الحسيب الذي يقول: ﭽ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﭼ النساء: ٨٦

الحسيب الذي يقول ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈﭼ الأنعام: ٦٢

الحسيب الذي يقول: ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ الأنبياء: ٤٧

الحسيب الذي يقول ﭽ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﭼ الجن: ٢٨

ربّكم الحسيب الذي أحصى كلّ شيءٍ عددا ..

أحصى الكلمات ،، أحصى النظرات ،،

أحصى الطاعات ،، أحصى السيئات ،،

أحصى الدمعات ،، أحصى الإشارات ،،

أحصى الأعمال كلها ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ الكهف: ٤٩

فالله تعالى الحسيب : هو المحاسب لعباده حقاً وصدقاً، فالحسيب هو الذي يعدُّ عليك نظراتك وكلماتك وأنفاسك، فأنت عبدٌ قلبك بيد الله، حركتك بيد الله، جوارحك بيد الله، ما عن يمينك وشمالك وفوقك وتحتك وباطنك وظاهرك بيد الله، وحسابك بين يد الله، وحساب الله تعالى يقوم على العدل التام ﭽ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳﯴ ﯵ ﯶ ﯷﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﭼ المجادلة: ٦ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ غافر: ١٧

في الصحيحين من حديث عائشة< أن رسول الله قال : «مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ» قَالَتْ عائشة < : أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ الانشقاق: ٨ قَالَ: «ذَلِكِ العَرْضُ» .

فالله هو المحاسب وحساب الله دقيق .

حساب على الحقوق والعقوق ..

حساب على الفرائض والمحرمات والواجبات ..

حساب على الطاعات والسيئات ..

حساب على الكلمات والذرات ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ الزلزلة: ٧ - ٨

من هنا قال عمر > قولته المشهورة : «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ ، يَوْمَ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ»

رواه الترمذي .

وكان > يقول: والله لو عثرت بغلة فِي العراق لوجدتني مسئولاً عنها . موارد الظمآن لدروس الزمان (3/555) .

وهذا الحسن ~ يقول : " إِنَّ الْمُؤْمِنَ قَوَّامٌ عَلَى نَفْسِهِ، يُحَاسِبُ نَفْسَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّمَا خَفَّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَوْمٍ حَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا شَقَّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَوْمٍ أَخَذُوا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ مُحَاسَبَةٍ، " الزهد والرقائق لابن المبارك (307) .

وهذا الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز ~ تدخل عليه زوجته فاطمة بن عبدالملك وهو يبكي قالت له : يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ، أَلِشَيْءٍ حَدَثَ؟ قَالَ: يَا فَاطِمَةُ، إِنِّي تَقَلَّدْتُ أَمْرَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ فَتَفَكَّرْتُ فِي الفَقِيْرِ الجَائِعِ، وَالمَرِيْضِ الضَّائِعِ، وَالعَارِي المَجْهُوْدِ، وَالمَظْلُوْمِ المَقْهُوْرِ، وَالغَرِيْبِ المَأْسُوْرِ، وَالكَبِيْرِ، وَذِي العِيَالِ فِي أَقْطَارِ الأَرْضِ، فَعَلِمْتُ أَنَّ رَبِّي سَيَسْأَلُنِي عَنْهُم، وَأَنَّ خَصْمَهُم دُوْنَهُم مُحَمَّدٌ فَخَشِيْتُ أَلاَّ تَثْبُتَ لِي حُجَّةٌ عِنْدَ خُصُوْمَتِهِ، فَرَحِمْتُ نَفْسِي، فَبَكَيْتُ. **سير أعلام النبلاء (5/131) .**

يا ربّ رحماك أين نحن من هذه المحاسبة ؟

أين نحن من محاسبة النفس على حقوق الله وحقوق عباده ؟

لنكن صرحاء متى خلا أحدنا بنفسه يوماً فحاسبها على أقوالها وأفعالها، حاسبها على الحقوق والواجبات، والكلمات، والأوقات، والهفوات، والزلات ؟

يا كرام ..

نحن في كل لحظة ندنو من عالم الآخرة ،، فقد وهن العظم ، وابيضّ الشعر ، ورحل الشباب والغلمان والأقران ، ولم يبقى إلاّ الرّحيلُ ، ونحن قاب قوسين أو أدنى من فراق هذه الدنيا الفانية والحضور بين يد الله العظيم الكبير .

فاعمل ما شئت ،، اظلم من شئت ،، وكل ما شئت ،

واكتب ما شئت ،، واقرأ ما شئت ،، وارسل ما شئت وانظر واسمع وتكلّم بما شئت ،، واعلم أن الحساب هناك ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ الأنبياء: ٤٧

فالله يعلم بأدق الأعمال ، وأدق الذرات ، يعلمُ بالنّقير ، والقطمير ، والفتيل ، فلا تظلمون فتيلاً ، ولا قطميراً ولا نقيراً ، ولا ذرة ، ولا مثقال حبةٍ من خردلٍ فالله حسيب وكفى بالله حسيباً في يأخذ الله للمظلوم من الظالم ، وللضعيف من القوي ، ولليتيم من الوصي، وللفقير من الغني ﭽ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﭼ الغاشية: ٢٥ - ٢٦

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم ..

الثانية

قَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ مَثَّلْتُ نَفْسِي فِي الْجَنَّةِ مَعَ حُورِهَا وأَلْبَسُ مِنْ سُنْدُسِهَا وإِسْتَبْرَقِهَا وَحَرِيرِهَا، ومَثَّلْتُ نَفْسِي فِي النَّارِ أُعَالِجُ أَغَلَالَهَا وسَعِيرَهَا آكُلُ مِنْ زَقُّومِهَا وَأَشْرَبُ مِنْ زَمْهَرِيرِهَا فَقُلْتُ: يَا نَفْسُ أي شيءٍ تتمنين؟ قَالَتْ: أَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا فَأَعْمَلَ صالحاً، قُلْتُ: فَأَنْتَ فِي الْأُمْنِيَةِ فاعملي " الزهد لأحمد بن حنبل ، ص293 .

حقٌ والله على المؤمن الحازم أن لا يغفل عن محاسبة نفسه ، والتضييق عليها في حركاتها ، وسكناتها ، وخطواتها.

ذكرت كتب السير: أنَّ تَوْبَةُ بْنُ الصِّمَّةِ كَانَ مُحَاسِبًا لِنَفْسِهِ فَحَسَبَ يَوْمًا عُمْرَهُ فَإِذَا هُوَ ابْنُ سِتِّينَ سَنَةً، فَحَسَبَ أَيَّامَهَا فَإِذَا هِيَ أَحَدٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ يَوْمٍ وَخَمْسمِائَةِ يَوْمٍ، فَصَرَخَ وَقَالَ يَا وَيْلَتِي أَلْقَى الْمَلِيكَ بِأَحَدٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ ذَنْبٍ وَخَمْسِمِائَةِ ذَنْبٍ، كَيْفَ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ عَشْرَةُ آلَافٍ ذَنْبٍ، ثُمَّ خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ، فَسَمِعُوا قَائِلًا يَقُولُ يَا لَك رَكْضَةٌ إلَى الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى.

قال الأقليشي: فأرباب القلوب، المحسون بأوجاع الذنوب العالمون يقيناً بمحاسبة علام الغيوب، وإحصاء حسابه لجميع العيوب، أقاموا في الدنيا موازين القسط على أنفسهم، وأحصوا عليها بالحساب المحرر كلما برز عنها وصدر ،. الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، ص209.

إلـهي صار يُقلقنــي ضــميــري

وتحــدو بــي لِهــاويةٍ ذنـوبـي

إلـهــي إن تُعــذبنــي فـــإنــــــي

ربيب الإثم ، والزلات حُـوبي

وإنْ تغفرْ عن الزلات ربـــــــي

رجائي فيك فــرّاج الكــــروب

لقد حــاكتْ بأنفــاســي عِظــــامٌ

فهــل جنبتنــي جُـــلّ الخطـوب

إلـهي كيــف ألقــــــــاك وذنــبي

تفارط كثرةً أعمــــتْ دروبـــي

إلـهي بِتُّ أخجــل مـن لقـــــــاءٍ

وأخشى صحيفة رَصَدتْ ذنوبي

لقــد آذيتُ خــلــق الـلــه دومــــاً

وأبـليتُ المعــارك بـالخطـوب

تتبّعـتُ المعايــب فـي أُنـــــاسٍ

فأوردنـــي لســانــي للـحروب

وأغـفـلـني قـريني عـن صــفاتـــي

وأعـماني فــلم أُبـصر عيوبـي

وأغــراني الشبــاب وألهبــتـــــني

صروف الدهر للعيش الطروب

صـغــائــر أو كبــائــر كلّ شــيء

لقــد أحـصــاه لليــوم العصيـب

إلـهــي لا تُـــعــذبــنــي بذنبــــــي

فلست أُطيــق تـحـريـق اللهيب

بـعـفـوك لا بـأعـمـالــي أجــرنــي

فأنت الـــربّ غـــفّار الذنــوب

**انتهت الخطبة**